الى ان: «يكتب قرآنه بالحجر / رسولاً بلا حاشية / يبشّر في الغاشية / ويتلو رسالته الآتية»(١١).

وهذا الزخم الاسطوري الذي يسيطر على المعنى، يطرق أبواب الواقع مراراً، لا ينفصل عنه، ولا يدخل فيه، كأنه يرفع الواقع الى مصافه، أو كأنه يحيل هذا الواقع الى منابعه الاسطورية الاولى: «له، الآن ان يتقمّص جثته الباقية / ويخرج للشارع العام / حراً طليقاً، على صورته / أمام ارادته الحافية»(١٢).

الّا ان نظرة القداسة الى الحجر رسّخها سميح القاسم في قصيدته معبّراً عنها في غير مكان، مثل: «بلا زهرة من جبال الجليل / ولا برتقالة / بلا عنب من كروم الخليل / بلا مرود للغزالة / أجيئك يا مصر / لكن بمهر البكارة / وطهر الحجارة»(١٣).

وهذا الطهر تكشّف عن الشاعر ليصبح صلاة لندى صباحات الانتفاضة، وسلاحها الحجر: «ولم اغترب غير اني أجيء / تجيء معي صلوات الندى / لصباح الحجارة»(١٤).

أمّا الشاعر الفلسطيني ميشيل حدّاد، الذي تميّز، منذ الخمسينات، بكتابة قصيدة النثر، وبذلك يعتبر من المجددين الاوائل في الشعر الفلسطيني الحديث، فانه لا يرى الانتفاضة كحدث آني، بل تذهب رؤياه الى أبعد من ذلك، حيث يتجسّد «الحجر» عنده كـ «حالة مباركة»، وكمسبّب حتمي للانتصار: «الحجر المثبت على قبر السيد / تحطّمت اختامه / تباركت به حجارة أرضنا / انتفضت في الأكف / توهّجت انتصاراً لرسالة البعث»(١٥).

وفي نشيد وطني سلس اعتمد البلاغة والبساطة في الصياغة، بجّل ميشيل حداد الشعب الذي احتضنته فلسطين في يوم استقلالها: «هذي فلسطين التي ازمعت / ان تحضن الشعب الذي أعلنا / ان يستقل اليوم في أرضه / حراً فلا أغلى ولا أحسنا»(١٦).

ويظل الأمل العذب في النصر والاستقلال يلح كفكرة أولى واخيرة في شعره، ليصل الامر عنده الى حالة انسانية راقية عندما ترى عيناه، أو تتجسّد، الدولة الفلسطينية المستقلة على أرض الواقع، فيعلن، آنذاك، حقيقة المساواة بيننا وبين اعدائنا، فجاء في قصيدة حملت عنوان «ونساويهم بنا»: «حين نصير دولة / سنلعب كرة قدم / حين نصير دولة / سنلعب كل الالعاب / ونتبارى مع دول العالم / نحتضن الجميع ونساويهم بنا»(١٧).

على ان هذا الانتصار الفلسطيني المرتقب أخذ اشكالاً ومعاني عدّة برزت في شعر شعراء فلسطين المحتلة العام ١٩٤٨. فالشاعر طه محمد علي مثّل الانتصار عنده هاجساً، أو لنقل حالة تفرض الواقع على الحلم، صراخاً لا يتعب، كأنه يؤكد الانتصار بالانتصار ذاته كهاجس حياتي يستمر حتى بعد نيل هذا الانتصار: «وبعد ان ننتصر / ستمر دهور / وانا استيقظ في الليل / أهبّ كاعصار / أطوف الغابات والسجون / أرقى القمم / واصرخ / حتى تنفجر شرايين صوتي / اصرخ حتى تخلخل أركان 'معلاقي' : سننتصر! سننتصر!»(١٨).

وأعلن الشاعر مفيد قويفس، الذي تغنّى بقرار الاستقلال الفلسطيني عبر خطابه الى شباب الانتفاضة، حقيقة الترابط والتمازج بين هذا القرار وغضب هؤلاء الشباب:

لا غير وجهك والغازون قد كثروا ... نكون أو لا نكون اليوم فاصطخب
هذا القرار ومن أمسى بلا وطن ... تجيء دولته في قمة الغضب(١٩)